

صبراً أمام النوازل أيها الناس !! ..

فقلت له : إن الشجاء يبعث الشجاء

فدعنى ، فهذا كله قر مالك !
فأنت تلح من بيت متمم الأخير أنه كان لا يستطيع
أن يملك نفسه ، أو يصون دمه أو يصد شجاءه ، بل كلسا
لمح سبياً أو علامة أو شيئاً ما يذكره بالك عاد إلى
النواح والبكاء 11 .

والإسلام الذى جاء به سيد العلماء وزينة الأنبياء
وخير من أقلت الأرض وأظلت السماء محمد العظيم عليه
الصلاة والتسليم ، والذى أخرج الناس من الظلمات إلى
النور ، وهداهم بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، هذا
الإسلام لا يريد لأهليه هذا الضعف . بل يريد منهم الثبات
والصبر . ويحرضهم على الاستسلام وحسن الاسترجاع ،
 ويفهمهم أن هذا أمر لابد منه : (كل نفس ذائقة الموت) ،
(أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة)
(كل نفس ذائقة الموت) ، (كل من عليها فان ، ويبقى
وجه ربك ذو الجلال والإكرام) . ويعدهم على الاسترجاع
حسن المثوبة والأجر : « ولنبؤنكم بشيء من الخوف
والجوع ونقص من الأموال والافئس والثرات ، وبشر
الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه
راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة .
وأولئك هم المهندون » .

ولأنه ليسوء الإنسان وأيم الحق أن يرى كثيراً من
الناس ينساقون فى الغواية ، وينطلقون مع عاطفتهم
بغير هداية ، فيشقون الجيوب ويلطمون الحدود ، ويلطخون
الأطراف والثياب بالسواد ، ويحزعون ويهلعون ،
استجابة للشيطان . أو انقياداً للعاطفة الجاحدة العمياء ، أو
متابعة للجهلة السفهاء ، أو غير ذلك من خسيس الأسباب
والمعاذير ، والرجولة تدعو فتاتها فى مثل هذا الموقف إلى
الصبر وحسن التأسى ، فهنا تكون البطولة ، وهنا تظهر
الشجاعة ، وهنا تتجلى حقيقة الإيمان .

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

النازلة الجديدة تكون عجيبة غريبة حين يلقاها الإنسان
لأول مرة فى حياته ، لأنها تفجأه وتذهله ، وتطرق بابه
على غير ميعاد ، ولكنها حين تتكرر وتتعدد ، تصبح
أمراً مألوفاً ، ولذلك يقل ما فيها من غرابة وعجب ،
ولكن شيئاً واحداً تتكرر ملايين المرات ، وظل مع
ذلك خفيفاً مزلولاً ، وسيتكرر أيضاً ملايين المرات ،
وسيطن على الرغم من ذلك خفيفاً مزلولاً ؛ ذلك هو الموت ،
وقد كنت أظن أن العرب قوم وهبوا القوة والجلادة
والثبات أمام الأحداث ، لأن طبيعة أرضهم ، وقسوة
الحياة عليهم ، ومجاهدتهم للحياة الخشنة المتمردة ، وتعرضهم
للريح القاصف والهواء العاصف والشمس الملتهمية والرمال
المتقدة والصخور الصلدة والجبال الشاهقة ، يجعلهم أشداء
أقوياء ، ولكنى عدت فتذكرت ما قرأته وحفظته من
أشعار العرب ، فوجدت أن شعراءهم قد قالوا فى الرثاء
والبكاء ، والندب والنواح ، والتفجع والتلف ، أضعاف
ما قالوا فى أى غرض آخر من الأغراض ، وأحياناً كان
الواحد منهم يقف حياته كلها أو جلها على بكاء حبيب أو
عزيز ، ولعلنا لا ننسى الخنساء التى ملأت الدنيا بكاء
ونواحاً على أخيها صخر مما عد مثلاً يروى للأجيال بعد
الأجيال ، فإن قيل إن الخنساء امرأة ، والمرأة ضعيفة
رقيقة ، تستجيب بسرعة لرغباتها وعواطفها ودوافع الحزن
والأسى فى نفسها ، قلنا : فهذا متمم بن نويرة البطل
المعروف ، والرجل الصنديد المشهور ، يقدم إلى العراق
بعد أن مات أخوه مالك ميتة لا تعيبه إن لم تشرفه ، فجعل
لا يرى قبراً من القبور إلا بكى عليه ، وندب أخاه عنده ،
فقيل له : يموت أخوك بالملأ (أى الصحراء) وتبكي أنت
على قبر بالعراق ؟ . فجعل يقول :

لقد لامنى عند القبور على البكاء

رفيقي لتذراف الدموع السوافك

فقال : أتبكي كل قبر لقيته

لقبر نوى بين اللوى والدكادك ؟

أمن أجل قبر بالملأ أنت نائح

على كل قبر ، أو على كل هالك ؟